كليّة الآداب والفنون – جامعة تلمسان–

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية

السّنـة الأولى: جذع مشترك آداب المجموعة: 03

د/نجاة بلعباس

المحاضرة الرّابعة: الحضارة الفينيقية

1–الأصل والتّسمية:

اختلف المؤرّخون في تحديد الموطن الأصلي للقبائل الفينيقية العربية؛ فمنهم من يرى أنّهم هاجروا من وسط الجزيرة العربية وبالضبط من نجد، والبحرين، والسّواحل المقابلة لها، ومنهم من يرى أنّهم من الجنوب أي من اليمن؛ ومنها انطلقت هجراتهم إلى الأراضي الخصبة في بلاد الرافدين والهلال الخصيب في الألف الثّالث قبل الميلاد.

وفينيقيا اسم مشتق من الكلمة اليونانية: Phoinix أي الأرجواني نسبة إلى صناعة الأصباغ الرّائجة في البلاد، وهناك من الباحثين من يرى أنّ الإغريق أطلقوا هذا الاسم على سكان السّاحل السوري، كما تعود هذه التسمية إلى سُمرة بشرة السكّان بالمنطقة، أو إلى طائر الفينق ذو اللّون الأحمر، وهناك تسميات أخرى متنوعة.

2–الإطار التّاريخي والجغرافي:

يمتدّ تاريخ الفينيقيّين عبر 3000 سنة ق.م، حين هاجروا من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب نتيجة لتغيّر المناخ وتدهور الحياة الاقتصادية هناك، فسكنوا بمحاذاة الأنهار الجارية للزّراعة، واشتغلوا بالتجارة وبيع منتوجات الأنعام، وبذلك برزت سلالتهم وأقامت مراكز

حضارية نشيطة على السّواحل، حيث أنشئوا خمسا وعشرين مدينة فينيقية أهمّها: جبيل، طرابلس، صيدا، صور... وقد تمتّعت كل مدينة باستقلالها ونظامها الخاص.

وتقابل فينيقية معظم الإقليم السّاحلي من سوريا حاليا، يحدّها جبل الكرمل جنوبا، وخليج إسوس وإقليم مدينة أرادوس شمالا، ويحدّها سلسلة جبال لبنان شرقا، والبحر غربا، موقعها الاستراتيجي جعلها رابطا طبيعيا بين مختلف الحضارات القديمة، فضلا عن غنى المنطقة بالثروات الطبيعية والزراعية، أمّا مناخها فهو معتدل إلى بارد، وتضاريسها صعبة ومسالكها وعرة.

3-مظاهر الحضارة الفينيقية:

1-الحياة السياسية والإدارية: أسّس الفينيقيون مدنا مستقلة ذات حكومات منفصلة، تحميها أبراج وأسوار عالية قصد دفع الغزاة، متشبّعة اقتصاديا بفضل مينائها التجاري، وقد حكمها ملوك من سلالات مقدسة الأصل، محفوفين بمجالس الشيوخ، حيث انقسم التاريخ السّياسي الفينيقي إلى ثلاثة أقسام:

- **فترة التاريخ الفينيقي القديم:** وتسمّى فترة ما قبل الاستقلال، وفيها استقر الفينيقيون وانفتحت مدنهم على البلدان المجاورة في مصر، وبلاد الرافدين، وجُزر بحر إيجه.
- **فترة الاستقلال والازدهار:** وفيها تمّ التنازع بين مصر وبلاد الرافدين على النّفوذ، وظهر خطر الدولة الحثيّة فتقلص الخطر على الفينيقيّين، وعاشوا في استقرار شمل كل مناحي الحياة.
- **فترة الضّغوط الخارجية:** شهدت عودة الخطر مجدّدا وتمثّل في الآشوريّين ثمّ الكلدانيّين، وبعد ذلك خضعت فينيقيا للاحتلال الفارسي، ليخلّصها الإسكندر المقدوني.

2-الحياة الاجتماعية والدّينية: لم يشكّل الفينيقيون مجتمعا واحدا؛ بل تمتّعت كلّ مدينة باستقلالها ونظامها الخاص، فكان مجتمعا هرميا يرتكز على الثّروة والمكانة الاجتماعية، حيث انقسم إلى ثلاث طبقات هي:

***الطبقة العليا:** وتضمّ أهل الحكم والمجالس المختلفة منها: مجلس الشّيوخ ومجلس الشّعب، كما نجد رجال الدّين، وقادة الجيوش، فتمتعوا بمكانة دينية واجتماعية عالية.

***طبقة الصنّاع والتّجار:** يتجمّعون على شكل هيئات مهنية، يرأسها ما يُسمّى بالسيّد أو الرب.

***طبقة عامة الشّعب:** ويمثّلون السّواد الأعظم من الأمة، وهم العمّال والمزارعون.

أمّا عن الدّيانة فالفينيقيون شعب متدين، فهم كغيرهم عبدوا مظاهر الطّبيعة وقدّموا للآلهة المتنوّعة مختلف الصّلوات المقامة في هياكل خاصة، من آلهتهم نذكر: إيل، البعل، الدّاجون، عشتروت...فكان لكلّ إله مدينة أو دور يناط به، حتى إنّهم خصّصوا يوما معيّنا أو أسبوعا مخصوصا في السنة للاحتفال بعيد إله معيّن.

4-الفنون:

-عرف الفينيقيون الكتابة؛ وبالذّات الخط الهيروغليفي والمسماري والمعيني، كما كانوا يتحدّثون اللّغة الكنعانية قبل تأسيس اللّغة الفينيقية، وقد تكونت من اثنين وعشرين حرفا مقتبسا من اللّغة المصرية، لذلك يمكن تقسيمها على حسب تطوّرها إلى ثلاثة أقسام:

- ✓ **الفينيقية القديمة:** وفيها كان يتم الفصل بين الكلمات بخط عمودي.
- ✓ **الفينيقية المتوسطة:** لم يعد فيها الفصل بين الكلمات بذلك الخط كما في السّابق فكُتبت بها النصوص والنّقوش في توابيت الملوك.
- ✓ **الفينيقية الحديثة:** وقد ظهرت فقط في العملات النّقدية، ولكنها لم تنتشر كثيرا.

– كان الأدب الفينيقي غنيا كُتب على ورق البردي والجلود، وتمثّل في الأساطير والملاحم منها: أسطورة "أقهات بن دانيال" التي تمثّل حب الإنسان البقاءَ والخلودَ بعد الموت، وملحمة "بعل" التي تشبه ملحمة جلجامش، فضلا عن تلك المراسلات المتنوعة والنّصوص الدّينية.

-برع الفينيقيون في فن العمارة والزّخرفة مثل: تشيدهم القلاع والحصون والأسوار، والقصور الفخمة، والمعابد، كما عرفوا النّقش والنّحت في المعابد والتوابيت، وفن الصياغة في الحلي الثّمينة، بالإضافة إلى الزّجاج والفخار، وحياكة المنسوجات القطنية والصّوفية، وسائر الأصبغة خاصة الأحمر الأرجواني.

5–العلوم:

–اهتم الفينيقيون بعلم الفلك من خلال علاقتهم بالملاحة البحرية، فاكتشفوا النّجم القطبي أو الدب الصّغير الذي سمّاه اليونانيون النّجم الفينيقي، كما تعرّفوا على المد والجزر، وقسّموا الأرض إلى خطوط الطول والعرض بغية تحديد الأمكنة وتسهيل الانتقال.

-ألمّوا بالحسابات بحكم ازدهار التّجارة لديهم لضبط الموارد والأرباح والخسائر، بحيث استعملوا حروف الأبجدية كأرقام حسابية.

-برعوا في علم الطب واستفادوا من الأعشاب الطبيّة كعقاقير للمداواة.

-اهتمّوا بعلم الكيمياء وجسّدوا ذلك في المواد المستعملة لتحضير الصّباغ الأرجواني.

–للاستزادة يمكن للطّلبة الاطّلاع على المؤلّفات الآتية:

- قصّة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران.
- الحضارة الفينيقية، ج.كونتينو، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة.
- تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، جان مازيل، ترجمة ربا الخش.
- الحضارات القديمة، ق.دياكوف، سي.كوفاليف، ترجمة نسيم واكيم اليازجي.